مقدمة الشارح

قال الشيخ الأجلّ الإمام أبو زكريا يحيي بن على الخطيب التبريزى : الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيّدنا محمد النبي وآله الطاهرين . وبعد : فإنى نظرت فى شعر أبى تمّام حبيب بن أوس الطائى ، وفيما ذُكر فيه من التفاسير ، فرأيتُ بعضَهم يُنحى عليه ، ويُهجّن معانيَه ، ويُزيّف استعاراتِه ، وبعضَهم يتعصَّب له ، ويقول مَن جَهِل شيئًا عابه ، كما أنّ من اعتسف طريقًا ضلّ فيه ؛ وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخى المعرّى فى كتابه المعروف بذِكرَى حبيب[1] : « إنّما أغلقَ شِعرَ الطائى أنّه لم يُؤثر عنه ، فتناقلتْه الضَّعَفةُ من الرّواة ، والجهَلة من الناسخين ، فبدّلوا الحركةَ بالحركة ، فأوقعوا الناظرَ بما جنَوْه فى أمّ أدراصٍ وتُغلِّس[2] ، وغيّروا بعضَ الأحرف بسُوءِ التصحيف ، فغادروا الفَهمَ خابطًا فى عَشْواء ؛ لأنّ تَغييرَ الضمّة إلى الفتحة والكسرةِ يُنشِب الفَطِنَ فى الحِبالة[3] ، فأمّا نقلُ الحاءِ إلى الخاء ، والدّالِ إلى الذّال ، فيَحدُث عنه إلباسٌ ، تُقرَن به بَلادةٌ وانتكاس » . وهو كما ذكرَه أبو العلاء[4] ، لأنّ فى شِعره صنعةً لا يكاد يخلو منها ، ومواضعَ مشكلةً تَصعُب على كثيرٍ من الناس ، لا سِيّما على مَن لا يَستأنِس بطريقته ، فيقع لذلك فيه خَلَل ،

---

(١) مر التعريف فى المقدمة بهذا الكتاب وبالكتب التى ذكرها الشارح .

(٢) « وقع فى أم أدراص وتغلس » أى فى داهية — اللسان مادة غلس ودرص ، مجمع الأمثال ١ : ٢٢٣ ، ٢ : ٢١٧ ، أساس البلاغة ١ : ٢٦٨ — ٢ : ١٦٩ ، قال : ووقعوا فى أم أدراص أى فى مهلكة ، وأصله جحرة الفأر ، قال طفيل :

وما أم أدراص بأرض مضلةٍ   بأغدرَ من قيسٍ إذا الليل أظلما

(٣) الحبالة ، ككتابة : المصيدة .

(٤) من قوله « وهو كما ذكره أبو العلاء » إلى قوله « لم يعال فيمل » لم يرد فى نسخة ش وأثبتناه من نسختى ب ، ن .

لأنّ شعرَ غيرِه يَقرُب مُتناوَلُه ، ويَسهُل على القارئ التوصّل إلى معرفة معانيه وأغراضِه .

وإنما حثّني على الاشتغال به ، وتَمييز ما ذكرَه العلماء فيه ، من معنًى أو إعراب ، واختلفوا فيه ، ميلُ المولى أبى نصر محمد بن عماد الدين — مولى أمير المؤمنين — إلى شِعره ، ورغبتُه فيه دون سائرِ دواوين المُحدَثين . فلمّا رأيت كثرةَ ميْلِه إليه ، وصِدْقَ رغبتِه فيه ، استعنتُ الله تعالى على شرحِه ، وذِكْرِ الغريبِ والمعانى والإعراب فيه ، وترجيحِ بعضِ أقوالِ العُلماء فيه على بعض ، لأنّ منهم مَن أنصفَه ، ومنهم مَن أنحَى عليه . وربما احتملَ البيتُ معنَيين ويكون أحد المعنَيين أقوَى من الآخر ، فلا يُميِّز بينهما إلاّ مَن حَسُنَ فهمُه ، وصفا ذِهنُه ؛ لأنّ نقدَ الشعرِ أصعبُ مِن نظمِه ؛ فأوضحت ذلك بإيرادِ ما لا مَحيدَ عنه للقارئ منه ، والناظرِ فيه ، بلفظ مُوجَز ، قليلُه يَدُلّ على الكثير ، وقَصيرُه يُغنى عن التطويل ، فخيرُ الشروحِ ما قلّ ودلّ ، ولم يَطُلْ فيُمَلّ .

وذكر أبو العلاء فى هذا الكتاب الأبياتَ المشكلةَ من شعر أبى تمّام متفرقةً ، وأنا إن شاءَ الله أكتبُ شعرَه من أوّلِه إلى آخرِه ، وأذكرُ من غَريبه وإعرابِه ، ومعانيه وأخبارِه ، ما لا بُدّ منه . وأشيرُ إلى ما ذكرَه أبو العلاء من الأبيات المُشكلَة فى مواضعها ، وإلى ما ذكره أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقىّ فى كتابه المعروف بالانتصار من ظَلَمة أبى تمّام ، وإلى ما ذكره أبو القاسم الحسنُ بن بِشْر الآمدى فى معانى شعره ، وما ذكره أبو بكر محمد بن يحيى الصّولى ، وما وقَعَ إلىّ مما رُوِىَ عن أبى على المعروف بالقالى وغيرِه من شُيوخ المغرب ، وأجتهد فى التلخيص والاختصار من غير إخلالٍ بالغَرَض إن شاء الله ، وبه أستعين وعليه أتوكل .

وكنتُ قرأت من شعر أبي تمّام سنةَ أربعٍ وخمسينَ وأربعمائة بالبَصْرة على الشيخ أبي القاسم الفضل بن محمد بن عليّ بن الفضل القَصَباني النحويّ البصريّ ، وروَى لنا هذا الديوانَ عن أبي علي عبد الكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السُّكريّ النحويّ اللغويّ ، عن أبي القاسم الحسن بن بشْر الآمِدي ، عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني ، عن أبي سعيد السُّكري ، عن أبي تمّام ؛ بعضُه قراءةً عليه ، وبعضُه سماعًا منه وبعضه إجازة ، ولله المنّة .

بسم الله الرحمن الرحيم

باب المديح

١

قال أبو تمّام يمدح خالدَ بن يزيد الشيباني (١) :

١ يا مُوضِعَ الشَّدَنيَّةِ الوَجْناءِ[٢] ومُصارِعَ[٣] الإدلاجِ والإسْرَاءِ[٤]

الثاني من الكامل والقافية متواتر .

(ع) : الوَضْع ضرب من السير ، يقال وَضَع البعيرُ يَضَع وضْعاً إذا سار ذلك الضربَ من ضُروب السير ، وأوضعه صاحبُه إذا حمَله على الوضْع ، ثم استغنوا عن المفعول فقالوا أخبَّ فلان وأوضعَ إذا حملَ مطيّته على الخبَب والوَضْع . فأمّا الرجز الذي يُروى عن دُريد بن الصِّمة :

يا ليتني فيها جذَعْ
أخُبُّ فيها وأضعْ (٥)

---

(١) جاء في نسختي م ، د على رأس هذه القصيدة : « يمدح خالد بن يزيد الشيباني ويذكر منع الخليفة إياه من الحج » . وجاء في نسخة س: « وكان وجدَ عليه المعتصم وأراد نفيه ، فرغب خالد أن يكون خروجه إلى مكة ، فأجيب إلى ذلك ، ثم شفع فيه ابن أبي دواد فشفعه المعتصم ، وأعفى خالد من الخروج واستقر على حاله » . وقال أبو العلاء في شرح البيت الثالث: « وكان المعتصم ولاّه الحرمين ثم عُزل » .

(٢) س : « الخرقاء » .

(٣) ظ : قال أبو العلاء: ومَن روى « ومضارعَ الإدلاج » فهو مصحَّف ، لأن المضارعةَ مقاربة الشيء وموافقته ، وإن ساغ ذلك على معنى فلا وجه له . وقال ابن المستوفي تعقيباً عليه : هذا كلامه إذ جعله سائغاً على معنى فقد وُجد له وجه وإن كان ضعيفاً ، على أن الرواية قد جاءت به .

(٤) س : «والإمساء» .

(٥) قاله يوم حنين حين رأى نفسه عاجزاً عن القتال وقد خرج مع قومه مظاهراً ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه معهم تيمناً به وليقتبسوا من رأيه ، فقتل فيمن قتل من المشركين في هذا اليوم. قال :

يا ليتني فيها جذَعْ
أخُبُّ فيها وأضَعْ
أقودُ وطفاء الزَّمَعْ
كأنها شاةٌ صَدَعْ

والجذع : الصغير السن ، والخبب والوضع : ضربان من السير معروفان ، وقوله : « أقود وطفاء الزمع » كناية عن فرس طويلة شعر الرسغ كأنها شاة قوية فتية .

الأغاني (دار الكتب) ١٠ : ٣١ ، شعراء النصرانية ٥ : ٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢ : ٧٢٦ واللسان مادة وضع .

فإنه يحتمل وجهين : أحَدهما أن يكون لمّا شبّهَ نفسه بالجَذَع من الخيل استعار لها الخبَبَ والوَضْعَ ، والآخر أنه أراد بـ « أضع » معنى أُوضِعُ ، ويكون من نحو قولهم قَتل الأميرُ الجانىَ إذا أمرَ بقتله ولم يل ذلك بيده . ولهم ضربٌ من السير يُسمونَه الرّفعَ ، فكأنه والوَضْعَ نقيضان . فأمّا قولهم ضَعْ فى زَجْر البعير فليس من السير ، وإنما المعنى ضَعْ يا بعيرُ عُنقَك ليركبَ الرّاكب ، قال الشاعر :

فلمّا استقلّ الحىّ جاءَتْ سريعةً إلى جَملٍ وَهْمٍ فقالتْ له : ضَعِ

ويقولون : اتّضعَ الرجل واتّضعَت المرأةُ إذا قالا للبعير ضَعْ ، قال الشاعر :

فَلُنَ : اتّضَعت ، فقالتْ : لا ، فقلنَ لها : فكيف تَقْوَيْنَ يا سَلْمَى على الجملِ ؟!

والشّدنية ناقة منسوبة إلى شَدَن ، وقيل إنه رجل أو موضع [1] . وقال ابن فارس فى المُجمل : يقال إنّ الشدنيةَ من النوق منسوبةٌ إلى موضع باليمن . وقال غيره : شَدَنيّة منسوبة إلى فحلٍ معروف [2] . والوَجْناء فيها قولان : أحدهما أنها الغليظة التى تُشبّهُ بالوجين من الأرض وهو غليظ منقاد ، والآخر أنها يُراد بها عِظَمُ الوَجنة وهى عَظْمُ الخدّ . [ع] و « مُصَارع الإدلاج والإسراء » من المستعار ، لأن الإدلاجَ والإسراءَ لا يُصارَعان فى الحقيقة ، وإنما الصراعُ لذوات الشخوص ، وكأنه أراد بالمصارع المقاسىَ والمحاولَ بجهد . [ص] والمعنى : أنه لا يَفْتُر من الإدلاج والإسراء فهو مواصل لهما * والإدلاج سير الليل كله ، والإسراء نحوٌ منه إلا أنه كرّر لاختلاف اللفظين . وقيل الإدلاج سير الليل كلّه ، والإسراءُ يكون فى جميعه وفى بعضه ، وسرَى وأسرَى بمعنًى واحد .

٢ أَقْرِى السلامَ مُعَرَّفاً ومُحَصَّباً [3] مِن خالدِ المَعْروفِ والهَيْجاءِ [4]

(ع) : هذا البيت يُروى على وجوه ، أجودُها وأليقها باللفظ أن يُقال : « أقرِى السلامَ مُعرّفًا ومُحَصّبًا » ، ويكون من قَرأتُ على فلانٍ السلامَ وأقرأتهُ غيرى ، وتُخفّفُ الهمزة ، فإن خُفّفتْ للضرورة أثبتَ الياء فى الخط ، كأنّ

---

(١) انظر مادة « شدن » فى اللسان ومعجم البلدان ففيهما الوجهان .

(٢) قاله الصولى فى شرحه .

(٣) م ، ل ، س : « أقر » .

(٤) هـ م : وفى نسخة « بالهيجاء » .

القائلَ أرادَ أن يقول : أقرئْ السلام ، فخفّفَ وبقيتِ الياء . وإن كانت الهمزة خُفّفتْ قبل أن يُرامَ نظمُ الكلمة فلا ضرورةَ فيها ، وينبغي أن يكتبَ « أقرِ » بغير ياء لأنها في لغة مَن يقول قرَى في وزن سقَى . و« مُعرّف » في هذين الوجهين منصوب بوقوع الفعل عليه . والمعرّفُ الموضع الذي يقف فيه الناسُ يومَ عرَفةَ . والمُحصَّبُ الموضع الذي تُرمى فيه الجمارُ، ولو أنه بالألف واللام كان أوجبَ لأنه كذلك يُستعمل فيقال المعرّف والمُحصَّب ، وإنما هما بمكة دون غيرها من البلاد ؛ قال الشاعر :

عفَا بَطِحَانٌ مِن قريشٍ فيثربُ فبطنُ الجمارِ من مِنًى فالمُحصَّبُ(١)

وقال الهذليّ :

أظنكم مِن أسرةٍ قَمَعيّةٍ إذا نَسكوا لا يَشْهدُون المُعرّفا(٢)

فليس حذف الألف واللام من « المعرّف » كحذفهما من العباس والضّحاك ؛ لأن العربَ تستعمل بعض الأسماء مرةً بالألف واللام ، ومرةً بغير ألف ولام ، ولم يجئْ في أشعارهم مثل هذا مُنكَّرًا إلاّ أن يكون شاذًّا ، وليس امتناعُه من المجيء أنه غير جائز ، ولكنه اتفاق يقع في اللفظ . ومَن أنشد « أقرِ السلامَ مُعرِّفًا ومُحصِّبًا » بكسر الرّاء والصاد فالمعنى أقرِ أيها الرجل السلامَ في حال تعريفك وتحصيبك ، والمقروءُ عليه السلامُ محذوف من اللفظ لعلم السامع ، وذلك مثل قولهم إذا بلغتَ حلبَ فأقرئْ السلام ، فيحتمل اللفظُ المذكورُ عمومًا وخصوصًا . ويحتمل أن يكون « مُعرّفًا » منصوبًا بوقوع الفعل عليه ، يُراد به مَن حضرَ عرَفة . ومَن أنشد « إقرا السلامَ » وجب أن يكسر الراء في « مُعرِّفًا » والصاد في « محصِّبًا » لأنّ المرادَ هو الإنسانُ القارئْ فنصَبَ الكلمتين على الحال .

(١) البيت لابن مقبل في رثاء الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . وفي معجم البلدان : بُطْحان بالضم ثم السكون كذا يقوله المحدثون أجمعون ، وحكى أهل اللغة بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وكذلك قيده أبو علي القالي . وفي معجم ما استعجم للبكري بطحان بفتح أوله وكسر ثانيه وبالحاء المهملة على وزن فعلان لا يجوز غيره .

(٢) قاله المعطل أحمد بن رهم بن سعد بن هذيل لعامر بن سدوس الخناعي وكان يعزى . قال أبو سعيد السكري : قمعة بن جندب من خزاعة إذا نسكوا للحج لا يشهدون المعرّف يعني عرفة . انظر مجموع أشعار الهذليين ص ١١٠ (مصورة بدار الكتب) .

ولو رويتَ « اقرا السلامَ معرَّفًا ومحصَّبًا » لجاز ذلك على بُعد ، ويكون النصب على الظرف ، كما يُقال فرّقَ المالَ يمينًا وشمالاً . [ع] والكلام فى إثبات الألف فى « اقرا » مثله فى إثبات الياء فى « أقرى » ، إن كان خفّفَ بعد النظم وجبَ أن يثبتَ ، وإن كان التخفيفُ والكلمة منثورةٌ حُذفت الألفُ كما تُحذف من قولك « اخشَ » . وقوله : «مِنْ خالدِ المعروفِ» أضافَه إلى ما جرَتْ عادته بفعله ، كما قالوا : عُروةُ الصعاليك ، لأنه كان يُكرمهم ويألفهم ، وكذلك قولهم : فلان مأوَى الصعاليك ، ومِن ذلك قولهم : زيدُ الخيل ، وزيدُ الفوارس ، وعمرو القنا . والهيجاء اسم مُشتقٌّ من الهَيْج ، ويُمدُّ ويُقصَر(١) .

٣ سَيْلٌ طَمَا لَوْلَمْ يَذُدْهُ ذَائِدٌ(٢) لَتَبَطَّحَتْ أُولاَهُ بِالبَطْحَاءِ

(ع) : يعنى به معروفَ خالد ، ولا يمتنع أن يعنى به خالدًا نفسَه . أى هذا المذكور سيلٌ طما — أى ارتفع — لو لم يَعُقْهُ عائق . وكان المعتصم ولاّه الحرمين ثم عزَل . يقول : لولا حادث العزلِ لامتلأتْ بهباته وجُوده بطحاءُ مكة .

---

(١) استشهد الصولى برجز لبيد فى قوله :

يا ربَّ هيْجا هى خيرٌ من دعَهْ
أكلَّ يومٍ هامتى مقزَّعهْ
نحنُ بنو أم البنينَ الأربعهْ
ومن خيار عامر بن صعْصَعهْ

فجاء بها مقصورة ، وفى الممدودة ذكر قول الشاعر :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاكَ سيفٌ مهند

انظر الأغانى ١٤ : ٩٢ — ١٦ : ٢٣ (ط الساسى) الميدانى ٢ : ٢٣ ، أمالى المرتضى ١ : ١٣٦ ، المقصور والممدود : ١١٧ ، وابن يعيش : ٢٢٥ ، دون عزو فيهما . وأورد القالى فى الأمالى ٢ : ٢٦٢ « إذا كانت الهيجاء » البيت ولم يعزه ، وفى الذيل : ١٤٠ نسبه لجرير ، وقال البكرى فى شرحه على الذيل ٣ : ٦٥ وبيت جرير لم يعزه له أحد ولا وجد فى شعره ، وإنما هو من عابر الشعر ، وأخاف أن أبا على وهم فيه هنا . وأورده صاحب اللسان فى مادة « هيج » ولم ينسبه .

(٢) م ، ل : « حادث » . وقال ابن المستوفى : قال الصولى : ويروى « لو لم يذدْه خالد » و « حادث » ، ولا أرى لرواية « خالد » معنى مثل معنى قوله « ذائد » و « حادث » ، لأن خالداً لم يذد السيل على ما قالوا إنه عزل ، إنما ذادَه ذائدٌ من غيره وحادث عرضَ له ، إذْ لا حكمَ لخالد فى ذلك ، سواء جعل السيلُ جودَ خالدٍ أو معروفه ، أوجعل نفسَ خالد . وكلام الصولى هذا لم يرد فيما لدىَّ من نسخ شرحه .

والبطحاءُ بطن الوادى إذا كان فيه رمل ، وقالوا فى المثل : خُذْ ما قطعَ البطحاء[١] . ويُسمتَى بَطنُ مكةَ بطحاءها ، ويقال للساكنين بها قريش البطحاء وقريش الأبطح . وقوله : « لَتبطّحتْ » أى لانبسَطتْ ، وإنما جاء بهذه اللفظة لمجانستها البطحاء . ويحتمل أن يكون قولُه تَبطّحتْ أى حلّتْ بالأبطح ، كما يقال تَبصّر إذا أتى البصرةَ أو أقام بها أو انتسبَ إلى أهلها . وأصلُ البطحِ فى بنى آدم أن يُلقَى الرجل على وجهه ، يقال بُطِحَ القتيلُ .

٤ وغَدَتْ بُطونِ منى مُنًى مِنْ سَيْبهِ وغَدَتْ حَرًى مِنهُ ظُهورُ حِراءِ

(ع) : إن ضممتَ الميمَ من « مُنًى » فهو جمع مُنية والمعنى يصحّ على ذلك ، وإن رويتَه « مَنًى » فهو حَسَن ، من قولهم أصابه مَنًى أى مقدار ، أى غدتْ بطون مِنًى مُقدّرَةً لسَيْبِه أىْ عطائه . ويُحتمل أن يكون من قولهم : دارى بِمَنَى داره أى بحِذائها ، كأنّ المعنى بالموضع الذى قُدّر لها أن يَقرُبَ إليها . و « حَرًى منه ظهورُ حِراء » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من قولهم هو حَرًى بكذا أى خَليق ، والآخر أن يكون من قولهم هو بِحَرَا الدارِ أى بِفنائها ، ويقال لأُدْحيّ النعامة حَرًا لأنه كالفِناء لها ، قال الشاعر :

بَيضَةٌ ذادَ هَيْقُها عن حَرَاها كلَّ طارٍ عليه أنْ يَطراها[٢]

ويكون معنى حَرًا أى أفنية مسكونة . يقول : غَدتْ ظهورُ حِراء – وهو جبل بمكة – على أنها غير مسكونةٍ مسكونةً من تأميل الناس له .

٥ وتَعرّفتْ عَرفاتُ زاخِرَهُ ولَمْ يُخْصَصْ كَدَاءُ مِنْهُ بالإكْدَاءِ

« تَعرّفتْ » أىْ تَحقّقتْ عرفاتُ عِظَم زاخرِه . وزاخرُه كثيره وجائشه ، من قولهم زَخَرَتِ القِدْرُ إذا غَلَتْ وجاشَتْ . [ص] و « كداء » جبل يُدخَل منه إلى مكة ومنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم يومَ الفتح * قيلَ يُمدّ إذا فُتحت الكاف ، ويُقصَر إذا ضمّت كأنه جمعُ كُدْية . (ع) كداءُ موضع بمكة

---

(١) المثل فى الميدانى ١ : ١٥٦ : « خذ منها ما قطع البطحاء » أى من الإبل ، أى خذ منها ما كان قوياً ، ويضرب فى الاستعانة بأولى القوة .

(٢) فى الأصول « أو بيضة » والتصحيح عن اللسان مادة حرا .

وثنيّة كَدَاء هنالك ، والغالبُ على كَدَاء التأنيث ، قال ابن قيس الرقيات :

أقفرتْ بعدَ عبد شَمسٍ كداءُ فكُدَىٌّ فالرّكن فالبطحاءُ[1]

والإكداءُ مصدر أكدى إذا قلّ خيره ، وأكدى المكانُ إذا جَحد نباتُه ، يقال كَدَأ النبتُ إذا وقفَ ضعفًا فلم يطُلْ لأنّ عِرقه يبلغُ إلى كُدْيَةٍ صلبة . و « عرفات » تُصرف ولا تُصرف .

٦ ولَطَابَ مُرْتَبَعٌ بِطَيْبَةَ واكْتَسَتْ بُرْدَيْنِ بُرْدَ ثَرًى[2] وبُرْدَ ثَرَاءِ

يقول : لو أقرّ على نظره لطابَ العيشُ بطَيْبَةَ وهى المدينة ، واسمُ الأرض يثرِب . (ع) : « المُرْتَبَع » منزل القوم فى الربيع ، وطَيْبَة اسم لمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنه اسم حَدَثَ فى الإسلام ، وفى كلام لبعضهم « فأتينا طَيْبَةَ ونحن نَشْرٌ » . وكان بعض أهل اللغة يزعم أن الاختيار فيها طَيّبة بالتشديد ، ولا ريبَ أنّ ذاك هو الأصل ، وطَيْبةُ اسم من أسماء النساء أيضًا مُخفّف من طَيّبة . فأمّا قولُ العامة : الطِّيبة فى مصدر الشىء الطيّب ، فأهلُ اللغة ينكرون ذلك ويختارون حذفَ الهاء فيقولون : هذا شىءٌ طَيّبٌ بَيِّنُ الطِّيب . و « الثّرَى » يُعنَى به التراب النّدىّ ، و « الثّراءُ » كثرة المال . ويُروَى « بُرْدَ نَدًى وبُرْدَ ثَرَاءِ » أى لاكتستْ أرضُها نباتَ النّدَى دُونَ المطرِ على المبالغة . أى لو سارَ خالدٌ إلى هذه المواضع لأخصبتْ .

٧ لا يُحْرَمِ الحرَمَانِ خَيْرًا إنَّهُمْ حُرِمُوا بهِ نَوْءًا مِنَ الأَنْوَاءِ

دعا لأهل الحرمَيْن ، أى لا يُحرَم أهلُ الحرمين ، وهذا كما يقال هلكت اليمامةُ يُراد أهلُ اليمامة . وإنما دعا لهم ترثّيًا ورحمةً لما حُرِموه من جُوده . و « الأنواء » معروفة ، والذى يُراد بالنَّوْء هنا المطرُ الذى يجىء عند سُقوط النجم ، والنوءُ يُستعمل فى السقوط والطلوع . و « الحرَمان » يُراد بهما مكةُ والمدينة .

٨ يا سَائِلِى عَنْ خالِدٍ وفَعَالِهِ رِدْ فَاغْتَرِفْ عِلْماً بغيْرِ رِشاءِ

(١) الديوان ١٧٠ .

(٢) م ، ل ، س : « برد ندى » .

جَعَل العِلْمَ به كالعينِ الغزيرةِ القريبةِ مثلاً . أى أصْغِ إلىَّ سمعَك ، وخُذْ علمَ ما أردتَ سهلاً بغير مشقَّة ، كمن وردَ ماءً فَغرَفَ منه بيديه دونَ رِشاءٍ ولا دَلْو .

٩ انْظرْ وإيَّاكَ الهوَى لاَ تُمْكِنَنْ سُلْطَانَهُ [(١)] مِنْ مُقْلَةٍ شَوْسَاءِ

يقول : انظرْ نَظرًا قاصدًا إلى الحق ، ولا يَستمِلْك شيطانُ الهوَى .

(ع) : كان النحويون المتقدِّمون يَروْن أنَّ « إيَّاك » ينبغى أن تُستعمل مع الواو مثلَ قولهم إيَّاكَ وزيدًا ، وينكرون مجيئها على غيرِ ذلك إلاَّ أن تُستعمل بـ «أن» كقولك إيَّاك أن تقومَ ، وإيَّاك أن تذهبَ ، والواو عندهم مُرادة ، كأنه قال إيَّاك وأنْ تذهب ، ولكن الواو حُذفت كحذف الباء مع « أنْ » فى مواضع كثيرة ، وكذلك تُحذف معها حروف الخفض ، يُقال نَهيتُكَ أن تفعل أى عن أن تفعل ، وأمرتُك أن تفعل ، والمراد بأن تفعلَ ، فإذا عُدِمتْ قَبُحَ عندهم الحذفُ إلاَّ فى ضرورة الشعر كقوله :

إيَّاكَ إيَّاكَ المِراءَ فإنَّه إلى الشرِّ دعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ [(٢)]

وأصحاب هذا القول يرونَ أنَّ الحذفَ جازَ مع المِراءِ لأنه مصدرٌ لماريتُ فهو مُؤدٍّ معنَى أن تُمارى ، وكذلك الهوَى مُؤدٍّ معنى أن تهوَى . وقيل نُصب المِراءُ بفعل مُضمر سِوَى الذى يَنتصب به إياكَ . وأمَّا غيرُ هؤلاء فلا يرون بحذف الواو بأسًا مع « أنْ » وغيرِها ، لأنهم يتأوّلون المعنى إذا قالوا إياك أن تقومَ على تقدير قولك أُحذِّرك أن تقومَ . فلما جاء الضمير المنفصل استغْنى عن المتصل ونابَ ظهوره عن ظُهورِ الفعل . و« السلطان » المعروف فيه التذكير ، وقد حُكى تأنيثُه . و « شَوْساء » من قولهم : رجل أشْوَس إذا نَظرَ فى شِقٍّ من الغَضَب ، وقيل هو أن يجمع أجفانَه ويُضيِّقَ نَظرَه .

---

(١) س ، د : « شيطانه » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ من غير عزو . وفى خزانة الأدب ١ : ٤٦٥ ينسب للفضل بن عبد الرحمن القرشى يقوله لابنه القاسم بن الفضل .

١٠ تَعَلَّمْ كَمِ افْتَرَعَتْ صُدورُ رِمَاحِهِ وسُيُوفِه [١] مِنْ بَلْدَةٍ عَذْرَاءِ

« افترعَتْ » من قولهم افترعَ الرجل البِكْرَ إذا افتضَّها . و « العَذْراء » التى لم تُفتَضّ . يقول : كم افتتحَتْ من بلدةِ عذراءَ لم تُفتَتَح قبلَه ، فكانت كجاريةٍ بكرٍ افترعَها [ص] وأصل الافتراع إخراج الدَّمِ ، ومنه الحديث : « لا فَرَعَةَ ولاعَتِيرَةَ » فالفَرَعَة ذَبيحةٌ كانوا يذبحونها لآلهتهم نَذْرًا عليهم ، أوّلَ بطنٍ تَلد الناقة ، ومنه قول الراجز يُخاطب الضَّبُعَ وقد أخذتْ شاةً من غَنَمه :

أفْرَعتِ فى قَرارى
كأنّمـــا ضِرارى
أردْتِ يا جَعَارِ [٢]

قَراره غَنَمه ، قال علقمة :

والمالُ صُوفُ قَرارٍ يلعبونَ بـــه على نَقَادَتهِ وافٍ ومَجْلُومُ [٣]

وفرعتُ دمَه صببْتُه . قيل والعذراء أخذتْ من الضّيق والمَنَعَة ، ومنه تَعذّرت حاجتُه : ضاقت وامتنعت ، وقيل افتَرَعها علاها .

١١ ودَعَا فأَسْمَعَ بالأَسِنَّةِ واللُّهَى [٤] صُمَّ العِدَى [٥] فى صَخْرَةٍ صَمَّاءِ [٦]

صُمّ العِدَى هم العُتاة الذين لا يُجيبون إلى صلحٍ ولا غيره . وأرادَ

---

(١) فى الأصول « وسيوفه » بالرفع ، وقال ابن المستوفى : والجر أجود معنى ، لأنه لما جعل للرماح صدوراً صار الأولى أن يكون للسيوف صدور ، لأن استعمال الصدور للسيوف أكثر من استعمالها للرماح ، وكلا روايتى الرفع والجر فى قوله « وسيوفه » جائز حسن ، والجر أحسن لما ذكرته .

(٢) هذا الرجز فى اللسان مادة (قرر) غير معزو ، وهو مما أنشده ابن الأعرابى ، وروايته فيه « أسرعتِ فى قرارى » وقال القرار النَّقد – وهو جنس من الغنم – وجعار كقطام الضبع . وفى مادة (فرع) رواه صاحب اللسان أيضاً عن ثعلب ، وروايته هذه المرة «أفرعتِ فى فُرارى» ، وقال الفرار بالفاء الضأن.

(٣) البيت فى شرح الشعراء الستة : ٦٤ ، المفضليات ٢ : ٢٠١ ، السمط ٩٣٧ واللسان مادة (قرر) ، وفسره بقوله : أى يقل « المال » عند ذا ويكثر عند ذا . ونقادةٌ ونقادٌ ونَقَد جمع نقدة : الصغيرة من الغنم ، وجلمَ الصوفَ جزه .

(٤) فى ه س : « والقنا» رواية أخرى .

(٥) ق : روى بعضهم « صمّ الصدى » أى أسمع حيث يتعذر الإسماع .

(٦) س : « فى الصخرة الصماء » – د : « من صخرة » .

بالصخرة الصمّاء المنيعة. واللُّهَى جمع لُهْوَةٍ وهي العطيّة . والمعنى : أنّ عداه يذلّون له إمّا بحربٍ وإمّا بجودٍ وعطاء . وضرَبَ صمّ العِدَى مثلاً للحيّةِ التي لا تسمعُ رُقْيَةً[1] .

١٢ بمجامع الثَّغْرَيْنِ ما ينفكُّ مِنْ[2] جَيْشٍ أَزَبَّ وغارَةٍ شَعْوَاءِ

(ع) : شبّه الجيش بالأزبّ وهو الكثيرُ الشعر ، وإنما يريد كثرة الرماح ، وهذا مأخوذ من قول الأول :

فلو أنّا شَهِدناكم نَصرْنا بذى لَجَبٍ أزَبَّ من العوالى

وقد شرحَ أبو الطيب هذا المعنى فى قوله :

صَدَمْتَهم بخميسٍ أنتَ غُرّتُه وسمهريّتُه فى وجهه غممُ[3]

و « غارة شعواء » أى متفرّقة ، وقلّما يصرفون منه الفعل ، ولا يقولون للذكر أشْعَى ، وأراد بالثغرين حيثُ تلتقى ثغورُ المسلمين وثغورُ المشركين .

١٣ مِنْ كلِّ فَرْجٍ لِلعَدُوِّ[4] كأنَّهُ فَرْجٌ حِمًى إلاَّ مِنَ الأَكْفَاءِ

(ع) الفرْجُ موضع المخافة ، كأنّهم يريدون أن المكان قد حُفظ إلا ذلك الموضع ، وهو مأخوذ من فرْج الدُرَّاعة والقميص. وقال غيره : الفرْج الثغر ، شبّهه بفرج لمرأة يُحمى إلاّ من كفءٍ لها فى النكاح . [ص] : يقول إنه فتحَ هذه المواضع التى كانت مُمتنعةً على غيره حتّى كان كفؤًا لفتحها كالفرْج الذى يُمنع إلا من الأكفاء * .

١٤ قَدْ كانَ خَطْبٌ[5] عاثِرٌ فأقالَه رأْيُ الخَلِيفةِ كَوْكَبِ الخُلَفَاءِ

[ص] : ويُروى « عاير » . يقول للمدوح : كان هذا الخطبُ عثَرَ بك

---

(١) قال ابن المستوفى : وليس فى قول أبى تمام ما يدعو إلى أن يشبهوا بالحيّة الصماء .

(٢) م ، ل ، ب ، ن ، د : فى .

(٣) من قصيدته لسيف الدولة التى مطلعها « عقبى اليمين على عُقبى الوغى ندم » .

(٤) د : « للعداة » .

(٥) ظ : وفى الطرة يروى « خطو » وفيها « عاثر » ، يريد « قد كان خطو عاثر » ، وهذه الرواية مع قوله « فأقاله » حسنة مستعمل مثلها فى كلامهم ، ورواية « عاثر » مع قوله « قد كان خطب » من قولهم عـارَ الفرس إذا أخذ فى غير جهة لنشاطه . يصف شدة الخطب وأنه غير واقف عند حد . ورواية د : « خطباً عاثراً » .

حتى أقالك الخليفة . ومن خبره أنه رَفع بعضُ العُمَّال إلى المعتصم أنَّ خالدَ بن يزيد اقتطعَ الأموالَ فاحتجزَ بعضَها وفرّق بعضَها ، فغضب المعتصمُ وحلَفَ ليقتلنَّ خالدًا أو ليأخذنَّ مالَه أو لينفينَّه ، فلجأ إلى ابن أبى دُوَاد ، فاحتالَ حتى جمع بين خالدٍ وبين خَصْمه ، فلم تَقُم على خالد حُجَّةٌ ، وأحضرَه المعتصم للعقوبة ، وقد كان ابن أبى دُوَاد عرّفَ المعتصمَ خبرَه وبُطلانَ ما رُفع إليه وشَفَعَ فيه فلم يشفّعه ، فلما أحضر المعتصم خالدًا حضرَ ابنُ أبى دُوَاد ، فجلسَ دونَ مجلسِه ، فقال له المعتصم : إلى مكانك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ما أستحقّ إلاَّ دونَ هذا المجلس . فقال : وكَيفَ ذاك ؟ فقال : لأنَّ الناسَ يزعمون أنه ليس محلِّى محلَّ مَن يُشَفَّعُ فى رجل . قال : فارتفِعْ إلى موضعك . قال : مُشَفَّعًا أو غيرَ مُشفَّع ؟ فقال : بل مُشفَّعًا ، قد وهبتُ خالدًا لك ، ورضيتُ عنه لكلامك . قال : إنَّ الناس لا يعلمون برضاك عنه بعد غضبك إلاَّ بعد أن تخلع عليه . قال : اخلعوا عليه . قال : وقد استحقَّ هو وأصحابُه أرزاقَ ستةِ أشهرٍ سيقبضونها ، فإن أمرتَ لهم بها فى هذا الوقت قامَتْ مقامَ الصّلة . قال : ليُحمَلْ معه ما يستحقّه هو وأصحابُه . فخرج خالد وعليه الخِلَعُ وبين يديه المال ، وإن الناسَ لَينتظرون الإيقاعَ به ، فصاحَ به رجلٌ : يا سيّدَ العرب ! فقال له : كذبتَ واللهِ ، سيّدُ العربِ ابنُ أبى دُوَاد *

١٥ فَخَرَجْتَ مِنْهُ[(١)] كالشِّهابِ ولم تَزَلْ مُذْ كُنْتَ خَرّاجًا مِنَ الْغَمَّاءِ

أى خرجتَ من الخَطْب الذى أغضبَ الخليفةَ كما يخرج الشهابُ مُضيئًا صافيًا من العَيْب ، والشّهابُ النجم ، والغَمَّاء الشدّة المظلمة .

١٦ مَا سَرَّنى بِخِداجِهَا مِنْ حُجَّةٍ[(٢)] ما بَيْنَ أَنْدَلُس إلى صَنْعَاءِ

[ص] يقول : ما سرّنى بنُقصان حُجَّة خَصمك أنّ لك[(٣)] ما ذكرته .

(ع) والخِداجُ النُّقصان ، وأصله فى الولد أن يخرجَ ناقصًا ، يقال أخدجت الناقةُ إذا ألقتْ ولدَها ناقصَ الخَلْق وإن كانت شهورُها تامّة ، وخَدَجتْ

(١) م ، س : « منها » .

(٢) س : « حجة » بفتح الحاء ، وقال ابن المستوفى : وفى حاشية النسخة التى ذكرتها : الصواب « من حِجة » وهو مما صحّف فيه الصولى . (٣) فى ل ، ظ « أنّ لى » .

إذا ألقَتْه لغير تَمَام. وقال قوم خَدَجَتْ وأخدَجتْ سواء ، وهذا القول أشبه بكلامهم لأنّ « فَعَل » وأفعلَ يشتركان كثيرًا . « وأندلُس » كلمة غير مستعملة فى القديم وإنما عرفتها العربُ فى الإسلام ، وقد جَرَتِ العادةُ بأن تَلزَمَ الألِفَ والّلام ، وقد استُعمِل حَذْفُها فى شعرٍ يُنسَب إلى بعض العرب وهو قوله :

سألتُ القومَ عن أنَسٍ فقالوا : بأندُلسٍ ، وأندُلُسٌ بَعيدُ

والأندَلس بِناء مُستَنكر إن فُتحتِ الدالُ وإن ضُمّت. وإذا حُملتْ على قياس التصريف وأجريتْ مجرَى غيرها من العربىّ فوزنها فَعْلَلُلُ وهذا بناء مُستَنكر ، ليس فى كلامِهم مثلُ « سَفَرْجَلِ » ولا « سَفَرْجُلِ » . فإن ادّعَى مُدّعٍ أنها « فَنعْلَل » فقد خرجَ من حُكْم التصريف ، لأنّ الهمزة إذا كان بعدها ثلاثةُ أحرفٍ من الأصول لم تكن إلاّ زائدة . وعند سيبويه أنها إذا كان بعدَها أربعة أحرفٍ فهى من الأصل ، كهمزة إصطَبْل ، ولو كانت عربيةً لجاز أن يُدّعى لها أنّ وزنَها أنْفَعُلُ وأنها من الدَّلْس والتَّدليس ، وأنّ الهمزةَ والنونَ زائدتان كما زيدتا فى « إنْقَحْل » وهو الشيخ الكبير ، ذكرَه سيبويه فزعمَ أنّ الهمزة والنون زائدتان وأنه لا يُعرف مثلُه فى الكلام(١) . ومَن روى : « ماسرّنى بخِداجها من حَجَّةٍ » : أراد أنه لمّا فاته الحجّ فى تلك السنة ماسرّه عِوَضًا منها ما بين أندلسَ إلى صنعاء مِلْكًا ، كما يُقال : ماسرّنى به حُمْرُ النَّعَم .

١٧ أَجْرٌ ولكنْ قَدْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَجْرًا يَفِى بِشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ (٢)

---

(١) فى اللسان (مادة دلس) : وأندُلُس جزيرة معروفة وزنها « أنفُعُل » وإن كان هذا مما لانظير له ، وذلك أن النون لا محالة زائدة ، لأنه ليس فى ذوات الخمسة شىء على « فعلُلُ » فتكون النون فيه أصلا لوقوعها مع العين ، وإذا ثبت أن النون زائدة فقد وَرَدَ فى أندلس ثلاثة أحرف أصول وهى الدال واللام والسين وفى أول الكلام همزة ، ومتى وقع ذلك حكمت بكون الهمزة زائدة ولا تكون النون أصلا والهمزة زائدة لأن ذوات الأربع لا تلحقها الزوائد من أوائلها إلا فى الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدحرج وبابه ، فقد وجب إذن أن الهمزة والنون زائدتان وأن الكلمة بها على وزن أنفعُل وإن كان هذا مثالاً لا نظير له .

(٢) هذا البيت لم يرد فى ش ، س . وشرحه ابن المستوفى قال : « أجر » أى الحج أجر . وقوله « ولم أجد أجراً يفى بشماتة الأعداء » قالوا أراد : النار ولا العار . قال : قد أجرتَ لأنك نويت الحج ولكن هذا الأجر لا يفى بعزلك الذى شمتَ به أعداؤك .

١٨ لَوْ سِرْتَ لَالْتَقَتِ الضُّلُوعُ عَلَى أَسًى
كَلِفٍ قَلِيلِ السِّلْمِ لِلأَحْشَاءِ (١)

١٨ : [ص] كنَى بالسَّيْر عن الموت (٢)، وقد يُقال : أرقلَ إلى الموت ، وسارَ إلى الموت ، وأسرعَ إليه ، وقالوا : الإنسان سائر بعمله إلى أجله ، قال :

وإنَّ امرءًا قد سارَ خمسينَ حِجَّةً إلى مَنْهَلٍ مِن وِرْدِهِ لَقَرِيبُ (٣)

وقيل أراد لو سرت إلى البلد الذى أرادوا نفيَك إليه لاشتملتْ ضُلوعى على حُزْنٍ كَلِفٍ بها مُلازمٍ لها ، قليلِ المسالمةِ للأحشاء . والأوّلُ أجودُ للبيت الذى بعده وهو :

١٩ ولَجَفَّ نُوَّارُ الْكَلَامِ (٤) وَقَلَّمَا يُلْفَى (٥) بَقَاءُ الْغَرْسِ بَعْدَ الْمَاءِ

ويُروى « بَهاءُ الغرس » . النُّوَّار والنَّوْر زَهْر النبات ، وضَرَبه مثلاً لبلاغتِه وحُسنِ منطقه واقتداره على المعانى . ويُروى « ولَجَفَّ نُوَّار النَّوالِ » يقول : لزالَ حُسْنُ الشِّعرِ وذهبَ رونقُه لذهابِك كما يَذهبُ بَهاءُ الغرسِ بعد الماء ، لأنك تُحيى الشِّعرَ بجودِك .

---

(١) نقل ابن المستوفى فى هذا البيت بعض روايات عن النسخة العجمية التى يشير إليها فى كتابه فذكر رواية « لو تم » وقال : وفيها « على جوًى أسفٍ » . وقال : وفى نسخة أخرى : « أسًى كلبٍ » . وفى ه ب ، ه ن : ويروى « لانطوت الضلوع » .

(٢) قال ابن المستوفى فى الرد على الصولى : الكناية بالسير عن الموت بعيدة ، وإنما يريد لو رحلتَ لكان الأمر كما ذكر .

(٣) فى الأغانى ١٨ : ١١٩ (ط الساسى) قال أبو الفرج قال أخبرنى جحظة قال : كتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم : إنى قد نظرت فى سنى فإذا أنا ابن ثلاثٍ وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدة عام ، وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقريب أن يَرِدَه والسلام . فسمع هذا أبو محمد التيمى فقال :

إذا ذهب القرنُ الذى أنت فيهم وخُلِّفتَ فى قرنٍ فأنت غريب
وإن امرأً قد سار خمسين حجةً إلى منهلٍ من وِرْدِه لقريب

وانظر شرح ذيل الأمالى ص ٣ .

(٤) د : « نوار القريض » .

(٥) س ، ل ، ظ : « يبقى بهاء الغرس » وجاءت هذه الرواية أيضاً فى ه ن ، ه ب